

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم
 { فُتِّرَبَتْ أَلْبَسَاءَهُ وَأَنْشَقَّ لَقَمَرٌ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِي الْبُذُرُ }
 وهي مكية بإجماعهم، وقال مقاتل: مكية غير آية { سَيُهْرَمُ لَجَمْعُ } [القمر: 45] وحكي عنه أنه قال: إلا ثلاث آيات، أولها: { أَمْ يَقُولُونَ تَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ } إلى قوله { وَأَمَّا } [القمر: 44-46] قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: «إن فعلت تؤمنون؟» قالوا: نعم، فسأل القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا فلان يا فلان اشهدوا» وذلك بمكة قبل الهجرة. وقد روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا» وقد روى حديث الانشقاق جماعة، منهم عبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعلى هذا جميع المفسرين، إلا أن قوما شذوا فقالوا: سينشق يوم القيامة. وقد روى عثمان بن عطاء عن أبيه نحو ذلك، وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله: { وَأَنْشَقَّ } لفظ ماض، وحمل لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجودا. وفي قوله: «وإن يروا آية يعرضوا» دليل على أنه قد كان ذلك. ومعنى { فُتِّرَبَتْ } : دنت؛ و{ أَلْبَسَاءَهُ } القيامة. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، تقديره: انشق القمر واقتربت الساعة. وقال مجاهد: انشق القمر فصار فرقتين، فثبتت فرقة، وذهبت فرقة وراء الجبل. وقال ابن زيد: لما انشق القمر كان يرى نصفه على قعيقعان، والنصف الآخر على أبي قبيس. قال ابن مسعود: لما انشق القمر قالت قريش: سحرهم ابن أبي كبشة، فاسألوا السفار، فسألوه، فقالوا: نعم قد رأينا، فأنزل الله عز وجل: «اقتربت الساعة وانشق القمر».

قوله تعالى: { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً } أي: آية تدلهم على صدق الرسول، والمراد بها ها هنا: انشقاق القمر { يُعْرَضُوا } عن التصديق { وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ } فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ذاهب، من قولهم: مر الشيء واستمر: إذا ذهب، قاله مجاهد، وقتادة، والكسائي، والفراء؛ فعلى هذا يكون المعنى: هذا سحر، والسحر يذهب ولا يثبت. والثاني: شديد قوي، قاله أبو العالية، والضحاك، وابن قتيبة، قال: وهو مأخوذ من المرة، والمرة: الفتل.

والثالث: دائم، حكاية الزجاج.

قوله تعالى: { وَكَذَّبُوا } يعني كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله تعالى { وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } ما زين لهم الشيطان { وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ } فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن كل أمر مستقر بأهله، فالخير يستقر بأهل الخير، والشر يستقر بأهل الشر، قاله قتادة. والثاني: لكل حديث منتهى وحقيقة، قاله مقاتل.

والثالث: أن قرار تكذيبهم مستقر، وقرار تصديق المصدقين مستقر حتى يعلموا حقيقته بالثواب والعقاب، قاله الفراء.

قوله تعالى: { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ } يعني أهل مكة { مِنَ الْأَنْبَاءِ } أي: من أخبار الأمم المكذبة في القرآن { مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } قال ابن قتيبة: أي: متعظ ومنتهى.

قوله تعالى: { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ } قال الزجاج: هي مرفوعة لأنها بدل من «ما» فالمعنى: ولقد جاءهم حكمة بالغة وإن شئت رفعتها بإضمار: هو حكمة بالغة. و«ما» في قوله { فَمَا تُغْنِي الْبُذُرُ } جائز أن يكون استفهاما بمعنى التوبيخ، فيكون المعنى: أي شيء تغني البذر؟ وجائز أن يكون نفيًا، على معنى، فليست تغني النذر. قال المفسرون: والمعنى: جاءهم القرآن وهو حكمة تامة قد بلغت الغاية، فما تغني النذر إذا لم يؤمنوا؟.

{ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ تُكْرَهُ * خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ }

{ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ } قال الزجاج: هذا وقف التمام، و{ يَوْمٌ } منصوب بقوله: «يخرجون من الأجداث» وقال مقاتل: فتول عنهم إلى يوم { يَدْعُ الدَّاعِ } أثبت هذه الياء في الحاليين يعقوب؛ وافقه أبو جعفر، وأبو عمرو في الوصل، وحذفها الأكثر في الحاليين. و«الداعي»: إسرافيل ينفخ النفخة الثانية { إِلَى شَيْءٍ تُكْرَهُ } وقرأ ابن كثير: «نكر» خفيفة؛ أي: إلى أمر فظيع. وقال مقاتل: «النكر»

بمعنى المنكر، وهو القيامة، وإنما ينكرونه إعظاماً له. والتولي المذكور في الآية منسوخ عند المفسرين بآية السيف.

قوله تعالى: {خُشِعَا أَبْصَرُهُمْ} قرأ أهل الحجاز، وابن عامر، وعاصم: «خشعا» بضم الخاء وتشديد الشين من غير ألف. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «خاشعا» بفتح الخاء وألف بعدها وتخفيف الشين. قال الزجاج: المعنى: يخرجون خشعا، و«خاشعا» منصوب على الحال، وقرأ ابن مسعود: «خاشعة»، ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والتأنيث والجمع؛ تقول: مررت بشبان حسن أوجههم، وحسان أوجههم، وحسنة أوجههم، قال الشاعر: وشباب حسن أوجههم من إباد بن نزار بن معد

قال المفسرون: والمعنى أن أبصارهم ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. والأحداث: القبور، وإنما شبههم بالجراد المنتشر، لأن الجراد لا جهة له يقصدها، فهو أبداً مختلف بعضه في بعض، فهم يخرجون فزعين ليس لأحد منهم جهة يقصدها. والداعي: إسرافيل وقد أثبت ياء «الداعي» في الحاليين ابن كثير، ويعقوب؛ تابعهما في الوصل نافع، وأبو عمرو؛ والباقون بحذفها في الحاليين. وقد بينا معنى «مهطعين» في سورة [إبراهيم: 43] والعسر: الصعب الشديد.

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَرُدُّهُ * قَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَعْلُوبٌ فَإِنتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأُلُوحِ وُدُّشِرْ * تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا لِقْرَاءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَارٌ نَحْلٍ مُنْقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا لِقْرَاءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ}

قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ} أي: قبل أهل مكة {قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا} نوحاً {وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَرُدُّهُ} قال أبو عبيدة: افتعل من زجر. قال المفسرون: زجروه عن مقالته {قَدَعَا} عليهم نوح {رَبُّهُ} ب {أَنِّي مَعْلُوبٌ فَإِنتَصِرْ} أي: فانتقم لي ممن كذبني. قال الزجاج: وقرأ عيسى بن عمر النحوي: «إني» بكسر الألف، وفسرها سيبويه فقال: هذا على إرادة القول، فالمعنى: قال: إني مغلوب، ومن فتح، وهو الوجه، فالمعنى: دعا ربه ب {أَنِّي مَعْلُوبٌ}.

قوله تعالى: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ} قرأ ابن عامر: «ففتحننا» بالتشديد. فأما المنهمر، فقال ابن قتيبة: هو الكثير السريع الانصباب، ومنه يقال: همر الرجل: إذا أكثر من الكلام وأسرع. وروى علي رضي الله عنه أن أبواب السماء فتحت بالماء من المجرة، وهي شرح السماء. وعلى ما ذكرنا من القصة في {هُودٍ} أن المطر جاءهم، يكون هو المراد بقوله: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ} قال المفسرون: جاءهم الماء من فوقهم أربعين يوماً، وفجرت الأرض من تحتهم عيوناً أربعين يوماً. {فَالْتَقَى الْمَاءُ} وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: «الماءان» بهمزة وألف ونون مكسورة. وقرأ ابن مسعود: «المايان» بياء وألف ونون مكسورة من غير همز. وقرأ الحسن، وأبو عمران: «الماوان» بواو وألف وكسر النون. قال الزجاج: يعني بالماء: ماء السماء وماء الأرض، ويجوز الماءان، لأن اسم الماء اسم يجمع ماء الأرض وماء السماء.

قوله تعالى: {عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} فيه قولان:

أحدهما: كان قدر ماء السماء كقدر ماء الأرض، قاله مقاتل.

والثاني: قد قدر في اللوح المحفوظ، قاله الزجاج. فيكون المعنى: على أمر قد قضي عليهم، وهو الغرق.

قوله تعالى: {وَحَمَلْنَاهُ} يعني نوحاً {عَلَى ذَاتِ الْأُلُوحِ وُدُّشِرْ} قال الزجاج: أي: على سفينة ذات ألواح. قال المفسرون: ألواحها: خشباتها العريضة التي منها جمعت. وفي الدسر أربعة أقوال: أحدها: أنها المسامير، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والقرطبي، وابن زيد، وقال الزجاج: الدسر: المسامير والشرط التي تشد بها الألواح، وكل شيء نحو السمر أو إدخال شيء في شيء بقوة وشدة قهر فهو دسر، يقال: دسرت المسمار أدسره وأدسره. والدسر: واحدها دسار، نحو حمار، وحمر.

والثاني: أنه صدر السفينة، سمي بذلك لأنه يدسر الماء، أي: يدفعه، رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة؛ ومنه الحديث في العنبر أنه شيء دسره البحر، أي: دفعه.

والثالث: أن الدسر: أضلاع السفينة، قاله مجاهد.

والرابع: أن الدسر: طرفاها وأصلها، والألواح: جانبها، قاله الضحاك.

قوله تعالى: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} أي: بمنظر ومرأى منا {جَزَاء} قال الفراء: فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثواباً لمن كفر به.

وفي المراء ب «من» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الله عز وجل، وهو مذهب مجاهد، فيكون المعنى: عوقبوا لله ولكفرهم به.

والثاني: أنه نوح كفر به وجحد أمره، قاله الفراء.

والثالث: أن «من» بمعنى «ما»؛ فالمعنى: جزاء لما كان كفر من نعم الله عند الذين أغرقهم، حكاه

ابن جرير. وقرأ قتادة: «لمن كان كفر» بفتح الكاف والفاء.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا} في المشار إليها قولان:

أحدهما: أنها السفينة، قال قتادة: أبقاها الله على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة.

والثاني: أنها الفعلة، فالمعنى: تركنا هذه الفعلة وأمر سفينة نوح آية، أي: علامة ليعتبر بها، {قَهْلٌ مِنْ

مَذْكِرٍ} وأصله مدتكر، فأبدلت التاء دالا على ما بينا في قوله: {وَلَقَدْ تَرَكْنَا أُمَّةً} [يوسف: 45] قال

ابن قتيبة: أصله: مدتكر، فأدغمت التاء في الدال، ثم قلبت دالا مشددة. قال المفسرون: والمعنى:

هل من متذكر يعتبر بذلك؟ {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي} وفي هذه السورة «ونذر» ستة مواضع، أثبت

الياء فيهن في الحاليين يعقوب، تابعه في الوصل ورش، والباقيون بحذفها في الحاليين، وقوله: «فكيف

كان عذابي» استفهام عن تلك الحالة، ومعناه التعظيم لذلك العذاب. قال ابن قتيبة: والنذر ها هنا

جمع نذير، وهو بمعنى الإنذار، ومثله النكير بمعنى الإنكار. قال المفسرون: وهذا تخويف لمشركي

مكة.

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا لِقُرْءَانٍ} أي: سهلناه {لِلذِّكْرِ} أي: للحفظ والقراءة {قَهْلٌ مِنْ مَذْكِرٍ} أي: من ذاكر

يذكره ويقرؤه؛ والمعنى: هو الحث على قراءته وتعلمه قال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب

يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن. وأما الريح الصرصر، فقد ذكرناها في {حم}.

قوله تعالى: {صَرَصَرَا فِي يَوْمٍ تَحْسُ مُسْتَمِرًّا} قرأ الحسن: «في يوم» بالتنوين، على أن اليوم

منعوت بالنحس. والمستمر: الدائم الشؤم، استمر عليهم بنحوسه. وقال ابن عباس: كانوا

يتشاءمون بذلك اليوم. وقيل: إنه كان يوم أربعاء في آخر الشهر.

{تَنْزِعُ النَّاسَ} أي: تفلعهم من الأرض من تحت أقدامهم فتصرعهم على رقابهم فتدق رقابهم فتبين

الرأس عن الجسد، ف {كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ} وقرأ أبي بن كعب، وابن السميعة: «أعجز نخل» برفع

الجيء من غير ألف بعد الجيم. وقرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وأبو عمران: «كانهم عجز نخل» بضم

العين والجيء. ومعنى الكلام: كأنهم أصول «نخل منقعر» أي: منقلع. وقال الفراء: المنقعر:

المنصرع من النخل. قال ابن قتيبة: يقال: قعرته فانقعر، أي قلته فسقط. قال أبو عبيدة: والنخل

يذكر ويؤنث، فهذه الآية على لغة من ذكر، وقوله: {أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة: 8] على لغة من

أنث. وقال مقاتل: شبههم حين وقعوا من شدة العذاب بالنخل الساقطة التي لا رؤوس لها، وإنما

شبههم بالنخل لطولهم، وكان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعاً.

{كَذَبَتْ تَمُودٌ بِالنُّذُرِ} * فَقَالُوا أَبَشَرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَبِيَّهٖ إِنَّا إِذَا لَفِى صَلَالٍ وَنُجُورٍ * أَلْقَيْتَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ

بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ * سَيَعْلَمُونَ عَدَاً مِنْ لِكَذَّابٍ أَشَرُّ * إِنَّا مُرْسِلُونَ لِنَاقَةٍ فَتَنَّا لَهُمْ وَرَأَيْنَاهُمْ

وَطُطِيرٌ * وَنَبَّهْنَاهُمْ أَنْ لِمَاءٍ قِسْمَهُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْضَرٌّ * فَتَادُوا صَحْبَهُمْ فَتَعَاطَى قَعَقَرٌ * فَكَيْفَ

كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجْدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ لِمُحْتَطِرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا لِقُرْءَانٍ

لِلذِّكْرِ قَهْلٌ مِنْ مَذْكِرٍ}

قوله تعالى: {كَذَبَتْ تَمُودٌ بِالنُّذُرِ} فيه قولان:

أحدهما: أنه جمع نذير. وقد بينا أن من كذب نبيا واحدا فقد كذب الكل.

والثاني: أن النذر بمعنى الإنذار كما بينا في قوله: «فكيف كان عذابي ونذر»؛ فكانهم كذبوا الإنذار

الذي جاءهم به صالح، {قَالُوا أَبَشَرًا مِمَّا} قال الزجاج: هو منصوب بفعل مضمر والذي ظهر

تفسيره، المعنى: أنتع بشرا منا واحدا، قال المفسرون: قالوا: هو آدمي مثلنا، وهو واحد فلا نكون له

تبعاً {إِنَّا إِذَا} إن فعلنا ذلك {لَفِى صَلَالٍ} أي: خطأ وذهاب عن الصواب {وَنُجُورٍ} قال ابن عباس:

أي: جنون. قال ابن قتيبة: هو من: تسعرت النار: إذا التهيت، يقال: ناقة مسعورة، أي: كأنها مجنونة

من النشاط. وقال غيره: لفي شقاء وعناء لأجل ما يلزمنا من طاعته.

ثم أنكروا أن يكون الوحي يأتيه فقالوا: {الذِّكْرُ عَلَيْهِ} أي: أنزل الوحي {عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا} أي: كيف

خص من بيننا بالنبوة والوحي؟ {بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ} وفيه قولان:

أحدهما: أنه المرح المتكبر، قاله ابن قتيبة.

والثاني: البطر، قاله الزجاج.

قوله تعالى: { سَيَعْلَمُونَ عَدَاً } قرأ ابن عامر، وحمزة: «ستعلمون» بالتاء «غدا» فيه قولان: أحدهما: يوم القيامة، قاله ابن السائب.

والثاني: عند نزول العذاب بهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { إِنَّا مُرْسِلُوا لِنَاقَةٍ } وذلك أنهم سألوأ صالحاً أن يظهر لهم ناقة من صخرة، فقال الله تعالى: «إنا مرسلو الناقة» أي:

مخرجوها كما أرادوا { فَنَتَنَّهُ لَهُمْ } أي: محنة واختياراً { وَوَأَتَيْنَهُمْ } أي: فانتظر ما هم صانعون { وَطَطِيرُ } على ما يصيبك من الأذى، { وَتَسْتَهُمُ أَنَّ لِمَاءٍ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ } أي: بين ثمود وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، فذلك قوله: { كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ } يحضره صاحبه ويستحقه.

قوله تعالى: { فَتَادُوا صَحْبَهُمْ } واسمه قدار بن سالف { فَتَعَاطَى } قال ابن قتيبة: تعاطى عقر الناقة { فَعَقَّرَ } أي: قتل؛ وقد بينا هذا في { لِأَعْرَافٍ }.

قوله تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَّةً } وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم؛ وقد أشرنا إلى قصتهم في { هُودٍ } { فَكَانُوا كَهَشِيمٍ لِمُحْتَظِرٍ } قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة

بالشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك وداسته الغنم، فهو الهشيم. وقد بينا معنى

«الهشيم» في { لِكَهْفٍ } وقال الزجاج: الهشيم: ما يبس من الورق وتكسر وتحطم، والمعنى:

كانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة بعد أن بلغ الغاية في الجفاف، فهو يجمع ليوقد. وقرأ

الحسن: «المحتظر» بفتح الظاء، وهو اسم الحظيرة؛ والمعنى: كهشيم المكان الذي يحتظر فيه

الهشيم من الحطب. وقال سعيد بن جبير: هو التراب الي يتناثر من الحيطان. وقال قتادة: كالعظام

النخرة المحترقة. والمراد من جميع ذلك: أنهم بادوا وهلكوا حتى صاروا كالشيء المتحطم.

{ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ } { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَصْبًا } { إِلَّا آلَ لُوطَ } { تَجَنَّبَهُمْ } { يَسْحَرُ } * { تَعَمَّةٌ } { مِّنْ عِنْدِنَا } { كَذَلِكَ } { تَجْزِي } { مِّنْ شَكْرٍ } * { وَلَقَدْ } { أَنْذَرَهُمْ } { بَطْشَتَنَا } { قَتَمَارُوا } { بِالْأَنْدَرِ } * { وَلَقَدْ } { رَاوَدُوهُ } { عَنْ صَيفِهِ } { فَطَمَسْنَا } { أَعْيُنَهُمْ } { فَذُوقُوا } { عَذَابِي } { وَنُذِرْ } * { وَلَقَدْ } { صَبَّحَهُمْ } { بُكْرَةً } { عَذَابٌ } { مُّسْتَقَرٌّ } * { فَذُوقُوا } { عَذَابِي } { وَنُذِرْ } * { وَلَقَدْ } { يَسَّرْنَا } { لِّلْقُرْءَانِ } { لِلذِّكْرِ } { فَهَلْ } { مِنْ } { مُّذَكِّرٍ } { }

قوله تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَصْبًا } قال المفسرون: هي الحجارة التي قذفوا بها { إِلَّا آلَ لُوطَ }

{ يعني لوط وأبنتيه { تَجَنَّبَهُمْ } من ذلك العذاب { يَسْحَرُ } قال الفراء: «سحر» ها هنا يجري لأنه

نكرة، كقوله: نجيناهم بليل، فإذا ألفت العرب منه الباء لم يجر، لأن لفظهم به بالالف واللام، يقولون:

ما زال عندنا منذ السحر، لا يكادون يقولون غيره، فإذا حذفت منه الألف واللام لم يصرف. وقال

الزجاج: إذا كان السحر نكرة يراد به سحر من الأسحار، انصرف، فإذا أردت سحر يومك، لم ينصرف.

قوله تعالى: { كَذَلِكَ تَجْزِي مِّنْ شَكْرٍ } قال مقاتل: من وحده الله تعالى لم يعذب مع المشركين.

قوله تعالى: { وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ صَيفِهِ } أي: طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه، وهم الملائكة { فَطَمَسْنَا }

{ أَعْيُنَهُمْ } وهو أن جبريل ضرب أعينهم بجناحه فأذهبها. وقد ذكرنا القصة في سورة { هُودٍ }. وتم

الكلام ها هنا، ثم قال: { فَذُوقُوا } أي: فقلنا لقوط لوط لما جاءهم العذاب: ذوقوا { عَذَابِي } { وَنُذِرْ }

{ أي: ما أنذركم به لوط، { وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً } أي: أتاهم صباحا { عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ } أي: نازل بهم.

قال مقاتل: استقر بهم العذاب بكرة. قال الفراء: والعرب تجري «غدوة» و«بكرة» ولا تجريهما،

وأكثر الكلام في «غدوة» ترك الإجراء، وأكثر في «بكرة» أن تجري، فمن لم يجرها جعلها معرفة،

لأنها اسم يكون أبدا في وقت واحد بمنزلة «أمس» و«غد» وأكثر ما تجري العرب «غدوة» إذا قرنت

بعشية، يقولون: إني لاتيهم غدوة وعشية، وبعضهم يقول: «غدوة» فلا يجريها، و«عشية» فيجريها،

ومنهم من لا يجري «عشية» لكثرة ما صحيت «غدوة» وقال الزجاج: الغدوة والبكرة إذا كانتا نكرتين

نونتاً وصرفتاً، فإذا أردت بهما بكرة يومك وغداة يومك، لم تصرفهما، والبكرة ها هنا نكرة، فالصرف

أجود، لأنه لم يثبت رواية في أنه كان في يوم كذا في شهر كذا.

{ وَلَقَدْ } { جَاءَ } { آلَ } { فِرْعَوْنَ } { الْوُذُرُ } * { كَذَّبُوا } { بِآيَاتِنَا } { كُلِّهَا } { فَأَخَذْتَهُمْ } { أَخَذَ } { عَزِيزٌ } { مُّقْتَدِرٌ } * { أَكْفَرُكُمْ } { حَبِيرٌ } { مِّنْ }

{ أُولَئِكَ } { أَمْ } { لَكُمْ } { بَرَاءَةٌ } { فِي } { الزُّبُرِ } * { أَمْ } { يَقُولُونَ } { نَحْنُ } { جَمِيعٌ } { مُّنتَصِرُونَ } * { سَيَهَرُهُمُ } { الْجَمْعُ } { وَيُؤْلَوْنَ } { الْوُذُرُ } * { بَلِ }

{ السَّاعَةُ } { مَوْعِدُهُمْ } { وَالسَّاعَةُ } { أَذْهَى } { وَأَمْرٌ } { }

قوله تعالى: { وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ } يعني القبط { الْوُذُرُ } فيهم قولان:

أحدهما: أنه جمع نذير، وهي الآيات التي أنذرهم بها موسى.

والثاني: أن النذر بمعنى الإنذار؛ وقد بيناه آنفاً، { فَأَخَذْتَهُمْ } بالعذاب { أَخَذَ } عَزِيزٌ { أي: غالب في

انتقامه { مُّقْتَدِرٌ } قادر على هلاكهم.

ثم خوف أهل مكة فقال: { أَكْفَرُكُمْ } يا معشر العرب { حَبِيرٌ } أي: أشد وأقوى { مِّنْ أُولَئِكَ } وهذا

استفهام معناه الإنكار، والمعنى: ليسوا بأقوى من قوم نوح وعاد وثمود، وقد أهلكناهم { أَمْ لَكُمْ }

بَرَاءَةٌ { من العذاب أنه لا يصيبكم ما أصابهم { فِي الرُّبْرِ } أي: في الكتب المتقدمة، { أَمْ يَقُولُونَ } تَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ { المعنى: أيقولون: نحن يد واحدة على من خالفنا فننتصر منهم؟ وإنما وحد المنتصر للفظ الجميع، فإنه على لفظ «واحد» وإن كان اسما للجماعة { سَيَهْرَمُ } لَجَمْعُ { وروى أبو حاتم بن يعقوب: «سنهزم» بالنون، «الجمع» بالنصب؛ «وتولون» بالتاء، ويعني بالجمع: جمع كفار مكة { وَيُولُونَ الرُّبْرَ } ولم يقل: الأدبار، وكلاهما جائز؛ قال الفراء: مثله أن يقول: إن فلانا لكثير الدينار والدرهم. وهذا مما أخبر الله به نبيه من علم الغيب، فكانت الهزيمة يوم بدر.

قوله تعالى: { وَالسَّاعَةُ أَذْهَى } قال مقاتل: هي أقطع { وَأَمْرٌ } من القتل. قال الزجاج: ومعنى الداهية: الأمر الشديد الذي لا يهتدى لدوائه؛ ومعنى «أمر» أشد مرارة من القتل والأسر. { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ كُلِّمَحٍ بِبَصَرٍ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَعَكُمْ قَهْلٍ مِنْ مُذَكِّرٍ * وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الرُّبْرِ * وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٍ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ }

قوله تعالى: { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ } في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن مشركي مكة جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاضعون في القدر، فنزلت هذه الآية إلى قوله: { خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } انفرد بإخراجه مسلم من حديث أبي هريرة وروى أبو أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذه الآية نزلت في القدرية». والثاني: أن أسقف نجران جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فقال: يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر، وليس كذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتم خصماء الله»، فنزلت: { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ } إلى قوله { بِقَدَرٍ }، قاله عطاء. قوله تعالى: { وَسُعُرٍ } فيه ثلاثة أقوال: أحدها: الجنون.

والثاني: العناء، وقد ذكرناهما في صدر السورة.

والثالث: أنه نار تستعر عليهم، قاله الضحاك.

فأما { سَقَرَ } فقال الزجاج: هي اسم من أسماء جهنم لا ينصرف لأنها معرفة، وهي مؤنثة. وقرأت على شيخنا أبي منصور قال: سقر: اسم لنار الآخرة أعجمي، ويقال: بل هو عربي، من قولهم: سقرته الشمس: إذا أذابته، سميت بذلك لأنها تذيب الأجسام. وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر مناديا فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون: أين خصماء الله؟ فتقوم القدرية، فيؤمر بهم إلى النار، يقول الله تعالى: { ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }، وإنما قيل لهم: «خصماء الله» لأنهم يخاضعون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها. وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالجبل، ثم صلى حتى يصير كالوتر،

ثم أخذ ظلما وزورا حتى ذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سقر «إنا كل شيء خلقناه بقدر» وروى مسلم في أفراد من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» وقال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضع يدك على خدك. وقال الزجاج: معنى «بقدر» أي: كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ. قبل وقوعه، ونصب «كل شيء» بفعل مضمر؛ المعنى: إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر.

قوله تعالى: { وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ } قال الفراء: أي: إلا مرة واحدة، وكذلك قال مقاتل: مرة واحدة لا مثوبة لها. وروى عطاء عن ابن عباس قال يريد: إن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وقال ابن السائب: المعنى: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كلمح البصر. ومعنى اللوح المحفوظ:

النظر بسرعة

{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَعَكُمْ } أي: أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم الماضية { قَهْلٍ مِنْ مُذَكِّرٍ } أي متعظ { وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ } يعني الأمم.

وفي { الرُّبْرِ } قولان:

أحدهما: أنه كتب الحفظة.

والثاني: اللوح المحفوظ.

{ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ } أي: من الأعمال المتقدمة { مُسْتَطَرٍ } أي: مكتوب، قال ابن قتيبة: هو «مفتعل» من «سطرت» إذا كتبت، وهو مثل «مسطور».

قوله تعالى: { فِى جَنَّتٍ وَنَهْرٍ } قال الزجاج: المعنى: في جنات وأنهار، والاسم الواحد يدل على الجميع، فيجترأ به من الجميع. أنشد سييويه والخليل:
بها جيف الحسرى، فأما عظامها فيبيض وأما جلدها فصليب

يريد: وأما جلودها، ومثله:
في حلقكم عظم وقد شجينا

ومثله:
كلوا في نصف بطنكم تعيشوا

وحكى ابن قتيبة عن الفراء أنه وجد لأنه رأس آية، فقابل بالتوحيد رؤوس الآي، قال: ويقال: النهر: الضياء والسعة، من قولك: أنهرت الطعنة: ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

أي: أوسعت فتقها. قلت: وهذا قول الضحاك. وقرأ الأعمش «ونهر». قوله تعالى: { فِى مَقْعَدٍ صِدْقٍ } أي: مجلس حسن؛ وقد نبهنا على هذا المعنى في قوله: { أَلَمْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ } [يونس: 2] فأما المليك، فقال الخطابي: المليك: هو المالك، وبناء فاعيل للمبالغة في الوصف، ويكون المليك بمعنى الملك، ومنه هذه الآية. والمقتدر مشروح في [الكهف: 45].